من هو المشاحن الذي لا يغفر الله له ؟

عناصر الخطبة:

أولا/ معنى اطلاع الله تعالى على عباده ليلة النصف من شعبان.

ثانيا/ حكم المشاحنة في الإسلام.

ثالثا/ أحوال يجوز فيها الهجر

أولا/ معنى اطلاع الله تعالى على عباده ليلة النصف من شعبان

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشرك أو مشاحن) رواه ابن ماجة، وحسنه الألباني.

وفي الحديث عن أبي هريرة : (تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا) رواه مسلم

معنى اطلاع الله تعالى على عباده ليلة النصف من شعبان:

أخبر الله تعالى أنه مطلع على أحوال عباده أجمعين، صغيرها وكبيرها، فقال تعالى:{ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم} [المجادلة 7]

فالله عز وجل مطلع على أحوال عباده دائما ، وأما الحديث الذي معنا الذي يعلمنا باطلاع الله تعالى في ليلة النصف من شعبان على عباده إنما هو تذكير للإنسان، فهي موعظة توقظ الغافل.

ما السر في استثناء المشرك والمشاحن من المغفرة؟

في هذا الحديث بيان عموم مغفرة الله تعالى لجميع الخلق إلا من استثني، وهم

صنفان: مشرك، ومشاحن.

فأما المشرك فهو الذي عبد غير الله تعالى، بأي نوع من أنواع العبادة، فمن أشرك بالله استحق العقوبة وهي: عدم المغفرة، والخلود في النار، كما قال تعالى:{إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار} [المائدة72]

من هو المشاحن؟

والمشاحن قال ابن الأثير: هو المعادي، والشحناء العداوة، والتشاحن تفاعل منه، وقال الأوزاعي: أراد بالمشاحن هاهنا صاحب البدعة المفارق لجماعة الأمة، وقال ابن عبد البر في التمهيد: الشحناء العداوة، وفي عون المعبود شرح سنن أبي داود الشحن أي عداوة تملأ القلب.

فالمشاحن هو :المباغض، والمخاصم، والمقاطع، والمدابر، والحاقد، والحاسد، فكل هذه أوصاف للشحناء، وهي مفسدة لذات البين، مقطعة للصلات والأرحام، وقد جاء في الحديث:(دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، وهي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على ما تتحابون به؟، أفشوا السلام بينكم) [رواه الترمذي].

فالوصف المشترك بين الشرك والشحناء أن كليهما يحلق الدين ويفسده، والفرق أن الشرك يبطل الدين فلا يبقي منه شيئا، أما الشحناء فتهتكه وتتركه بلا

روح، وإن لم تجتث أصله.

وذلك أن مبنى العبادات في الإسلام على الاجتماع، كالصلاة في جماعة، وفريضة الحج لا تكون إلا باجتماع، والصيام الفرض في وقت واحد في شهر واحد للجميع، والزكاة فريضة اجتماعية.... وهكذا؛ فكل الشعائر شرعت جماعية، لم يخص بها فرد دون آخر، وكلها تؤدى جماعة بأوقات متحدة، وبأحكام واحدة، فلا بد إذن في إيقاعها والقيام بها من اجتماع، وأساسه التآلف والمحبة، فإذا انتفى التآلف تضررت تلك العبادات، بعضها بالنقصان والخلل، وبعضها بالزوال والترك.

فلا تجد المتباغضين يجتمعون للصلاة في صف واحد، جنبا إلى جنب؟
ولا تجد المتباغضين يعطف بعضهم على بعض بصدقة أو إحسان؟
ولا تجد المتباغضين يجتمعون على دعوة أو أمر بمعروف ونهي عن منكر ؟
فالشرك مفسد لعلاقة الإنسان بربه، والشحناء مفسدة لعلاقته بإخوانه المؤمنين، وإذا فسدت علاقته بربه وبإخوانه لم يبق له من دينه شيء، فكيف يغفر الله له؟
وإذا فسدت علاقته بإخوانه هتك دينه وأضرّ به، لذا حرم فضل تلك الليلة المباركة.

سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أيُّ الناسِ أفضلُ؟ فأجاب: «كلُّ مخمومِ القلبِ، صدوقِ اللسانِ»، قالوا: صدوقُ اللسانِ نعرفُهُ، فما مخمومُ القلبِ؟ قال: «هو النقيُّ التقيُّ، لا إثمَ عليهِ، ولا بغيَ، ولا غلَّ، ولا حسدَ» صححه الألباني.

والذي يظهر في معنى الحديث الشريف : أن الذنوب التي لا تغفر بسبب استمرار الشحناء هي نفس الشحناء التي بين المتهاجرين فقط ، فإن الله لا يتفضل على المتشاحنين بمغفرة هذا الذنب ، إلا أن يتوبا عنه ، ويرجعا إلى ما كانا عليه .

والهجران ذنبان: ذنب يتعلق بحق الله سبحانه، وآخر يتعلق بحق العبد، فإذا اصطلحا وتسامحا غفر الله لهما ما يتعلق بحقه أيضا سبحانه، أما إذا لم يصطلحا ولم يتسامحا، لم يغفر لهما، لا من جهة حق العبد ولا من جهة حق الله عز وجل.

أما الذنوب الأخرى التي بين العبد وربه، فلا شأن لها بالشحناء، فمن كان بينه وبين أخيه شحناء ، وتاب إلى الله تعالى من ذنب آخر كالكذب مثلا ، فإن الله تعالى يتوب عليه.

ثانيا/ حكم المشاحنة في الإسلام

هجر المسلم لأخيه لا يجوز ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يحل لرجل أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) رواه البخاري ومسلم .

فإذا حصل خلاف أو تشاحن أو غضب بين مسلمين فلا يجوز هجر أحدهما للآخر أكثر من ثلاث ليال وجعلت الثلاث حداً لانتهاء الغضب وسكونه لأن الآدمي مجبول على الغضب فسمح بذلك القدر ليرجع إلى رشده بعد زوال غضبه .

والهجر يرتفع حكمه بالسلام ، فإذا سلم شخص على شخصٍ ، فقد زال الهجر؛ للحديث السابق وخيرهما الذي يبدأ بالسلام .

ثالثا/ أحوال يجوز فيها الهجر

ويستثنى من تحريم الهجر كما ذكر أهل العلم عدة أشخاص :

1- هجر العاصي :

من كان في هجره مصلحة كصاحب المعصية إذا عُلم أن هجره فيه مصلحة له أو لغيره ، كأن يترك المعصية ، ولا يغتر به غيره ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهجران كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ـ رضي الله عنهم – خمسين يوما بعد تخلفهم عن الخروج معه بغزوة تبوك.

والعداوة والهجران والتباغض في الله ليست من هذا التشاحن المذموم المانع من المغفرة، لأن هذا محمول على العداوة لحظ النفس، أما ما كان لله تعالى فلا تمنع من المغفرة، وقد جاء الأمر بها في قوله صلى الله عليه وسلم : (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان" أخرجه أبو داود

قال الإمام المنذري رحمه الله في الترغيب والترهيب : قال الامام أبو داود : إذا كانت الهجرة لله فليس من هذا بشيء؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم هجر بعض نسائه أربعين يوما، وابن عمر هجر ابنا له إلى أن مات.

وروى الإمام أحمد أن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا

يمنعن رجل أهله أن يأتوا المساجد . فقال ابن لعبد الله بن عمر : فإنا نمنعهن . فقال عبد الله : أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول هذا ؟ قال : فما كلمه عبدالله حتى مات) وإسناده صحيح كما قال الشيخ الألباني .

قال ابن عبد البر : وفي حديث كعب هذا دليل على أنه جائز أن يهجر المرء أخاه إذا بدت له منه بدعة أو فاحشة يرجو أن يكون هجرانه تأديباً له وزجراً عنها ، وقال – أيضاً – : أجمع العلماء على أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يخاف من مكالمته وصلته ما يفسد عليه دينه أو يولد به على نفسه مضرة في دينه أو دنياه ، فإن كان كذلك رخص له في مجانبته ، ورب صرم جميل خير من مخالطة مؤذية .

وقال أبو العباس القرطبي : فأما الهجران لأجل المعاصي والبدعة فواجب استصحابه إلى أن يتوب من ذلك ولا يختلف في هذا .
والذي ينبغي أولا إذا ارتكب أحدهم محرّماً يجب مناصحته وبيان حرمة هذا الأمر وأنه لا يجوز ، وتذكّيره بالله ، فإذا رأينا منه تمادياً على هذه المعصية ورأينا أن المصلحة في هجره فهذا حكمه الجواز كما سبق.

والواجب على المسلم أن يكون واسع الصدر ، ناصحاً لإخوانه ، وأن يتحمّل منهم ويغض الطرف عن هفواتهم ، لا أن يستعجل في اتخاذ حل قد يكون سبباً للقطيعة والهجر المحرّم .

2- هجر أهل الأهواء والبدع والفسوق :

لأن الحب والبغض في الله واجب ولما في ذلك من الحث على الخير والتنفير من الشر والفسوق.

قال العلماء: والحاصل أنه يجب هجر من كفر أو فسق ببدعة أو دعا إلى بدعة مضلة أو مفسقة، وهم أهل الأهواء والبدع المخالفون فيما لا يسوغ فيه الخلاف، كالقائلين بخلق القرآن، ونفي القدر، ونفي رؤية الباري في الجنة والمشبهة والمجسمة، والمرجئة الذين يعتقدون أن الإيمان قول بلا عمل.

وقال ابن تميم: وهجران أهل البدع كافرهم وفاسقهم، والمتظاهر بالمعاصي، وترك السلام عليهم فرض كفاية، ومكروه لسائر الناس.

وقال الإمام أحمد: إذا سلم الرجل على المبتدع فهو يحبه، قال النبي صلى الله عليه وسلم «ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم». أخرجه مسلم ، وظاهر كلام الإمام أحمد ترك السلام والكلام مطلقاً.

وقال القاضي أبو حسين في التمام: لا تختلف الرواية في وجوب هجر أهل البدع وفساق الملة.

وظاهر إطلاقه لا فرق بين المجاهر وغيره كالمبتدع والفاسق فينبغي لك إن كنت متبعاً سنن من سلف أن كل من جاهر بمعاصي الله لا تعاضده ولا تساعده ولا تقاعده ولا تسلم عليه بل اهجره.

3- هجر الظالم والدعاء عليه :

العفو وعدم العفو حق للمظلوم، ومن حقّ كل مظلوم أن يطالب بحقّه في الدنيا وفي الآخرة، كما أنّ باستطاعته أن يعفو عمّن ظلمه، ولا يسمى المظلوم صاحب الحق متشاحنا ولا يشمله هذا الحديث الذي معنا .

وربّنا سبحانه عدل، وبين يديه يُقاد للشاة الجلحاء التي لا قرون لها من الشاة القرناء التي ظلمتها ونطحتها بقرونها، فكيف بالظلم الواقع بين البشر! وويل ثم ويل لمن يظلم النّاس أو يتهمهم ظلمًا.

ولا حرج في الدعاء على الظالم؛ لما ثبت من دعائه صلى الله عليه وسلم على الذين غرروا بأصحابه عند بئر معونة من قبائل رعل وذكوان، وبني لحيان، وعصية، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم دعا عليهم ثلاثين صباحاً، والقصة في صحيح البخاري، كما صح أنه كان يدعو على مضر.

وفي القرآن الكريم عن موسى عليه الصلاة والسلام: (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ [يونس:88].

وقد ثبت في الحديث استجابة دعاء المظلوم على ظالمه كما قال النبي ـصلى الله عليه وسلمـ: (ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب ـعز وجلـ: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين. رواه الترمذي وغيره، وصححه الألباني.

وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلمـ قال: (إن شر الناس منزلة عند

الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه.) وفي رواية : (اتقاء شره.) لقول الله تعالى: (لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ) {النساء: 148}

وفسرها ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بقوله: لا يحب الله أن يدعوَ أحدٌ على أحد، إلا أن يكون مظلومًا، فإنه قد أرخَص له أن يدعو على من ظلمه، وذلك قوله: إِلَّا مَنْ ظُلِمَ، وإن صبر فهو خير له.

وقال الشيخ: السعدي ـ رحمه الله: إلا مَن ظُلِمَ أي: فإنه يجوز له أن يدعو على من ظلمه ويشتكي منه، ويجهر بالسوء لمن جهر له به، من غير أن يكذب عليه ولا يزيد على مظلمته، ولا يتعدى بشتمه غير ظالمه، ومع ذلك، فعفوه وعدم مقابلته أولى، كما قال تعالى: (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ.)
[الشورى:40]انتهى من تفسير: تيسير الكريم الرحمن: للسعدي.

وقوله تعالى: (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) {الشورى:41-43}
ولخطر دعوة المظلوم كان يتعوذ منها النبي صلى الله عليه وسلم، فعن عبد الله بن سرجس قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكون ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال.) رواه مسلم.

4- من كانت صلته تجلب الأذى والضرر:

إن كان هناك من كانت صلته يترتب عليها ضرر محقق، سواء كان قريبا ذي رحم أو شخصا آخر، فلا إثم في قطيعته حينئذ.

قال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه يجوز الهجر فوق ثلاث، لمن كانت مكالمته تجلب نقصاً على المخاطب في دينه، أو مضرة تحصل عليه في نفسه أو دنياه، فرب هجر جميل خير من مخالطة مؤذية. اهـ.

لكن لا شك أن من وصل ذوي رحمه المسيئين، فإن الله عز وجل يعينه عليهم ويكفيه إياهم، فعن أبي هريرة: أن رجلًا قال: يا رسول الله: إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ، فقال: لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك. أخرجه مسلم.

معنى " تسفهم الملّ" تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم، كما يلحقهم الألم في الرماد الحار.

والأعلى من ذلك دفع شر من أساء إليك بالإحسان إليه ما استطعت، فالإحسان يصير العدو وليا، كما قال الله سبحانه: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ {فصلت:34}.

5- الزوجة الناشز:

ويجوز الهجر فوق ثلاث للزوجة الناشز إلا أن هجرها لا يكون إلا في المضجع، وليس في كل الأحوال، كما قال تعالى (واهجروهن في المضاجع) [النساء :34] بعد العظة والنصيحة وبالجملة فإن الهجر علاج، ولا يصار إليه إلا إذا تحقق أو غلب على الظن أن هجر المهجور أنفع – في الجملة – من وصله، فإن كان العكس لم يشرع الهجر، لأن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً.